ورقة تقدير موقف بعنوان

الإسلاموفوبيا في فرنسا ومقاطعة البضائع الفرنسية في البلدان العربية

جنان باسم أبو قويدر

مقدمة

أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن إعادة نشر رسومات الكاريكاتير التي تجسد الرسول محمدﷺ، والمسيئة للإسلام في 21 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، خلال مراسم تأبين أحد المدرسين الفرنسيين الذي قتل على يد شاب شيشاني مسلم، وذلك بقطع رأسه، نتيجة عرضه على تلاميذه رسوماً كاريكاتيرية تسيء للنبي محمد. وأكد ماكرون أن بلاده لن تتخلى عن نشر الصور والرسوم الكاريكاتيرية التي تجسد الرسول محمد، ما أثار غضب المسلمين في العالم، الذين قاموا بحملة تدعو إلى مقاطعة البضائع الفرنسية".[1]

عن الإسلاموفوبيا

الإسلاموفوبيا من المصطلحات المتداولة في العديد من البلدان الأوروبية، وعلى وجه الخصوص فرنسا. وقد بدأ استخدام هذا المصطلح في فرنسا بداية القرن العشرين، ويعني التحامل والكراهية والخوف من الإسلام، وهو مصطلح مركب من كلمتين هما كلمة "إسلام" وهي كلمة عربية، والكلمة الأخرى"فوبيا" وهي يونانية، وتعني الخوف. فالمصطلح يترجم بشكل عام إلى الخوف من الإسلام أو الخوف من المسلمين، وبذلك يكون المعنى الاصطلاحي للإسلاموفوبيا هو "رهاب الإسلام" أي الخوف منه".[2]

تعرف فرنسا نفسها بوصفها دولة علمانية، ما يعني أنها دولة تلتزم بثلاثة مبادئ في آن واحد: حرية المعتقد، والمساواة في الحقوق بين المؤمنين والملحدين، وتكريس جهود الدولة للعمل من أجل المصلحة العامة[3]. إلا أن العلمانية التي تضمن للمسلمين في فرنسا، كغيرهم، حرية المعتقد والمساواة في الحقوق، تعاني بعض التمييز ضد المسلمين. مؤخر بدأ واضحاً تزايد معاناة المسلمين في فرنسا، ويقدر عددهم بنحو ستة ملايين، من التمييز

---

[1] وكالة الأناضول، "إساءة" ماكرون تشعل غضب المسلمين.. تواصل الإدانات ودعوات المقاطعة، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 30/10/2020 م.

[2] ياسمين محمود، ما المقصود بالإسلاموفوبيا، موقع المرسال، 2019، تاريخ زيارة الموقع: 6/11/2020م

[3] نهى خلف، خطر تحول مفهوم العلمانية في فرنسا، موقع العربي الجديد، 2015، تاريخ زيارة الموقع: 5/11/2020م.

والتشهير بديانتهم، وزيادة الإجراءات الأمنية على ممارسة الشعائر الإسلامية، وحظر الحجاب في المدارس والمؤسسات الفرنسية، بالإضافة إلى وصفهم من قبل العديد من نخب الدولة بـ "الإسلام المتطرف"، آخرهم الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون الذي قال: "إن الإسلام يعيش اليوم أزمة في كل مكان بالعالم، وإن على فرنسا التصدي للانعزالية الإسلامية الساعية إلى إقامة نظام موازٍ وإنكار الجمهورية الفرنسية"".[4]

ردود الفعل العربية والإسلامية على تصريحات ماكرون

تباينت ردود أفعال البلدان العربية والإسلامية تنديد بموقف الرئيس الفرنسي المسيء للإسلام وللنبي محمد، وجاءت الردود العربية والإسلامية قوية. على المستوى الشعبي، انضمت عشرات الجمعيات التجارية العربية إلى حملة مقاطعة البضائع الفرنسية، وأعلنت المقاطعة وسحب المنتجات بشكل كامل، وذلك عبر منصاتها المختلفة في مواقع التواصل الاجتماعي. ودعا ناشطون عرب عبر مواقع التواصل الاجتماعي إلى مقاطعة المنتجات الفرنسية، وطالب المستخدمون بمقاطعة المنتجات الفرنسية عبر هاشتاغات: #مقاطعة_المنتجات_الفرنسية، و#رسولنا_خط_أحمر، و#ماكرون_يسيء_للنبي، و#توقفوا_عن_إهانة_نبينا_صلى_الله_عليه_وسلم".[5]

أما على المستوى الرسمي، فقد نددت العديد من الدول العربية بهذه التصريحات، فقد أدانت دولة قطر استمرار خطاب الكراهية الممنهج والمبني على الدين أو العرق أو المعتقد، كما دعت الجميع إلى الوقوف أمام مسؤولياتهم بنبذ خطاب الكراهية والتحريض[6]. وأعلنت شركة "ألبان الوجبة" مقاطعة المنتجات الفرنسية، وتعهدت بتوفير أخرى مماثلة وبديلة، كما عملت شركة "الميرة للمواد الاستهلاكية" (شركة مساهمة قطرية) على سحب جميع المنتجات من جميع فروعها حتى إشعار آخر، استجابة لرغبة العملاء[7]. وقررت إدارة جامعة قطر تأجيل فعالية الأسبوع الفرنسي الثقافي إلى أجل غير مسمى، بسبب الإساءة المتعمدة للإسلام ورموزه".[8]

---

[4] الجزيرة،الرئيس الفرنسي: الإسلام يعيش اليوم أزمة في كل مكان بالعالم، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 2/10/2020م.

[5] وكالة سما الإخبارية، حملة واسعة في الدول العربية لمقاطعة المنتجات الفرنسية بسبب الإساءة للنبي (محمد)، 2020م، تاريخ زيارة الموقع:24/10/2020م..

[6] جريدة القدس العربي، قطر تدين خطاب الكراهية الممنهج والمبني على الدين أو العرق أو المعتقد بعد الإساءات المتكررة للإسلام – (تغريدة)، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 26/10/2020م.

[7] وكالة الأناضول، "نصرة للنبي".. جمعيات تجارية عربية تعلن مقاطعة منتجات فرنسية، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 24/10/2020م..

[8] موقع فرانس24، دعوات على وسائل التواصل الاجتماعي لمقاطعة المنتجات الفرنسية على خلفية تصريحات ماكرون بخصوص رسوم الكاريكاتير، 2020م، 29/10/2020م.

كما استنكرت الكويت الإساءات المقصودة لرموز الإسلام، ودعت إلى التحرك العملي ضمن المحيط الدبلوماسي لحظر الإساءة لكافة المعتقدات حول العالم، كما طالبت وزارة الخارجية بتحرك دبلوماسي دولي لكبح جماح هذا التطرف المتدثر بثوب الحرية".[9]

كما استنكر المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر ما وصفها بـ"حملة مسعورة على النبي محمد والإسلام"، واعتبر المجلس أن سلوك الفئة المنحرفة عن القيم الإنسانية التي تتبجح باسم حرية الرأي بالإساءة للإسلام ورسوله يعتبر تطرفاً، وبالأخص كونه صادراً عن مسؤول يعتبر نفسه حامياً لقيم الإخاء والحرية والمساواة".[10]

والحال نفسه مع الدول الإسلامية، ففي خطاب ألقاه الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان–في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، عدّ أردوغان تصريحات ماكرون استفزازية ووصفها بـ"الوقاحة". كما انتقد أردوغان الرئيس الفرنسي وقال إنه بحاجة إلى "علاج عقلي". و قالت وزارة الخارجية التركية: "ليس من حق أحد أن يخضع ديننا العظيم، الذي يعني السلام لنُهج زائفة ومشوهة، تحت ذريعة التنوير".

واعتبرت وزارة الخارجية الإيرانية الشتائم وعدم الاحترام للنبي محمد غير مقبولين، وأن موقف الحكومة الفرنسية تجاه المسلمين تسبب في تصاعد الكراهية أكثر من أي وقت مضى. وقال رئيس البرلمان الإيراني:"الفعل الشرير لهؤلاء الناس غير الشرفاء يكشف عن عدم تصديقهم بالله وعدائهم لجميع الأديان السماوية."[11]

مقاطعة البضائع الفرنسية

تعرضت المنتجات والأسواق الفرنسية لمقاطعة واسعة من الدول العربية والإسلامية؛ ردّاً على موقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون المعادي للإسلام وللرسول، وبعد التصريح الأخير لماكرون الذي قال فيه: "لن نتخلى عن الرسومات والكاريكاتيرات وإن تقهقر البعض، وسنقدم كل الفرص التي يجب علينا أن نقدمها لشبابنا دون تمييز وتهميش."[12]

---

[9] الجزيرة، ردود فعل عربية غاضبة ضد تصريحات ماكرون ودعوات لمقاطعة البضائع الفرنسية، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 5/11/2020م.

[10] فرانس 24، أبرز ردود الفعل العربية والإسلامية على الرسوم الكاريكاتيرية وتصريحات ماكرون بشأنها، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 6/11/2020م.

[11] مرجع سابق

[12] عين الأردن، ماكرون: لن نتخلى عن الرسومات والكاريكاتيرات وإن تقهقر البعض!، 2020م، تاريخ زيارة الموقع:21/10/2020م.

وقد أشعل ذلك غضباً واسعاً في الدول الإسلامية والعربية، وطالب العديد عبر وسائل التواصل الاجتماعي بمقاطعة المنتجات الفرنسية، في الكويت، وتركيا، والأردن، وفلسطين، والسعودية، ومصر، والعراق، والعديد من الدول الأخرى، مستهدفة الشركات الفرنسية كافة، المصدرة للحبوب والمواد الغذائية والأزياء والسلع الأخرى.

وقد بدا واضحاً أن هذه المقاطعة أدت إلى خسائر في اقتصاد فرنسا بمختلف قطاعاته إذ تحتل فرنسا في الصادرات الأولى أوروبيّاً والسابعة عالميّاً، ويتجاوز حجم التبادل التجاري بين فرنسا وبين الدول الإسلامية 100 مليار دولار أميركي سنويّاً[13]. كما أن إجمالي صادرات فرنسا إلى دول العالم بلغ العام الماضي 555.1 مليار دولار أميركي، أي أكثر من نصف تريليون دولار أميركي، وقد بلغت صادرات فرنسا إلى 7 دول عربية العام الماضي نحو 29 مليار دولار أميركي، أبرزها كانت إلى المغرب والجزائر".[14]

فقد وصل حجم التبادل التجاري بين الجزائر وفرنسا في 2019 إلى نحو 10.209 مليار دولار أميركي، شكلت منها صادرات فرنسا إلى الجزائر 5.513 مليار دولار أميركي، مقابل واردات بقيمة 4.696 مليار دولار أميركي. ويعني ذلك أن الميزان التجاري يصب في صالح باريس بواقع 817 مليون دولار أميركي".[15]

أما مع المغرب، فقد بلغ التبادل التجاري قرابة 11.58 مليار دولار أميركي، منها 5.336 مليار دولار أميركي هي الصادرات الفرنسية إلى المغرب".[16]

وبلغت صادرات فرنسا إلى تونس قرابة 3.8 مليار دولار أميركي".[17]

فيما تبلغ صادرات فرنسا إلى قطر والإمارات والسعودية ومصر نحو 14 مليار دولار أميركي، وأكثرها إلى قطر. واللافت أن صادرات فرنسا إلى تركيا بلغت في 2019 نحو 6.655 مليار دولار أميركي، ومع الأخذ بعين الاعتبار تجارة باريس مع الدول العربية المذكورة أعلاه، نجد أن صادرات فرنسا إلى الدول الثماني (تركيا، والجزائر، والمغرب، وقطر، وتونس، الإمارات، والسعودية، ومصر)، وصلت العام الماضي إلى 35 مليار دولار أميركي".[18]

---

[13] وكالة الأناضول للأنباء، التبادل التجاري بين فرنسا والدول الإسلامية يتجاوز 100 مليار دولار، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 18/11/2020م.

[14] صحيفة الحدث، الأهمية التجارية للدول العربية لدى فرنسا، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 26/10/2020م.
https://www.alhadath.ps.

[15] شبكة RT Arabic الإخبارية، بالأرقام.. من الخاسر في معادلة المقاطعة.. ماكرون أم أردوغان .. وأين العرب منها؟، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 18/11/2020م.

[16] مرجع سابق.

[17] مرجع سابق.

[18] مرجع سابق.

تراجع ماكرون عن تصريحاته

أكد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في مقابلة أجراها مع قناة الجزيرة أنه يتفهم أن المسلمين قد يصدمون إزاء نشر الرسوم الكاريكاتيرية للنبي محمد، لكن الرسوم لا تبرر العنف، وإنه لا توجد رسوم موجهة ضد دين بعينه، وإن الأخبار التي تؤكد على دعمه للكاريكاتير المسيء للنبي مضللة ومقتطعة من سياقها[19]. حيث قال: "أفهم أنه قد نشعر بالصدمة من رسوم كاريكاتيرية، لكنني لن أوافق مطلقاً على تبرير العنف"[20]. كما أكد ماكرون خلال مقابلته مع قناة الجزيرة أن الرسوم الكاريكاتيرية لم يتم نشرها من قبل الحكومة، بل نشرتها صحف حرة ومستقلة.

المواقف الأوروبية الداعمة لماكرون

جاءت ردود أفعال الدول الأوروبية داعمة لتصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حول الرسومات المسيئة للرسول ومؤيدة لحرية التعبير. فقد أدانت ألمانيا التصريحات التشهيرية ضد الرئيس الفرنسي، وأن القتل المروّع للأستاذ الفرنسي يأتي من جانب متعصب إسلامي. وأكدت هولندا على دفاعها ووقوفها بحزم إلى جانب فرنسا من أجل حرية التعبير وضد التطرف والراديكالية. كما أدانت النمسا إهانات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ضد الرئيس الفرنسي، وأكدت على مساندة فرنسا ودعمها الكامل لها. كما وقفت إيطاليا إلى جانب فرنسا واعتبرت تصريحات الرئيس التركي ضد الرئيس الفرنسي غير مقبولة. وندد رئيس قبرص بتصريحات الرئيس التركي ضد الرئيس الفرنسي واعتبره هجوماً يشنه رئيس بلد مرشح للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وهو إهانة مشينة لمبادئ وقيم الاتحاد".[21]

---

[19] قناة الجزيرة، ما وراء الخبر- تفهم مشاعر المسلمين.. هل تراجع ماكرون أم هي رسالة تهدئة فقط؟، 2020م. تاريخ زيارة الموقع:31/10/2020 م. https://www.youtube.com/watch?v=jiPOivgy10A

[20] فرانس24، ماكرون يقول إنه يتفهم أن الرسوم الكاريكاتيرية قد "تصدم" لكنه يدين العنف (مقابلة مع الجزيرة)، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 21/10/2020م.

[21] رشيد سعيد قرني، من أيد ومن عارض ماكرون في الحملة التي يواجهها؟، موقع euronews، 2020م، تاريخ زيارة الموقع: 18/11/2020م.

الخاتمة

بعد تصريحات ومواقف الحكومة الفرنسية حول الإساءة للإسلام، وأن الإسلام متطرف ويجب العمل على التصدي له في كل العالم، أدانت الدول العربية والإسلامية تصريحات الرئيس الفرنسي بعدم تخليه عن الرسومات المسيئة للرسول، التي اعتبرها حرية، كما اجتاحت حملات واسعة العالمين العربي والإسلامي تدعو لمقاطعة البضائع الفرنسية ردّاً على ذلك. في الوقت الحالي، يصعب تقدير حجم خسائر الشركات الفرنسية والاقتصاد الفرنسي، علماً بأن حجم الصادرات الفرنسية إلى سبع دول عربية العام الماضي قدر بنحو 29 مليار دولار، أي أن التأثير على مستوى الصادرات محدود جدّاً، إلا أن ذلك لا ينفي تأثر الحكومة الفرنسية بمقاطعة بضائعها في الأسواق العربية والإسلامية، ما اضطر ماكرون للظهور على قناة الجزيرة والاعتذار عن تصريحاته.